لغة الجرائد

(تابع لما في الجزء السابق)

ويقولون امكن لهُ ان يفعل كذا يعدّونهُ باللام وهو متعدٍّ بنفسهِ لم يرد في شيء من كلام المتقدمين الا كذلك تقول امكنتهُ من كذا اي جعلتهُ يتمكن منهُ مثل مكّنتهُ بالتشديد ثم تقول امكنني هذا الامر على تقدير امكنني من نفسهِ كما صرّح بهِ في الاساس فاستغنوا عن الصلة والاصل محفوظ . وكأن اول من ادخل هذه اللام ـ ولم نجدها في كلام احدٍ قبل ابن بطوطة ـ سمع قول القائل هذا الامر ممكنٌ لي فتوهم انها لام التعدية فاجراها على الفعل وانما هي لام التقوية مثلها في قولك زيدٌ محبٌّ لي وعجبت من ضربك لعمرو وهذه اللام تزاد بعد الصفة والمصدر لتقوية عملها كما تقرر في كتب النحاة ولا تزاد بعد الفعل لاستغنائهِ عن التقوية فلا يقال احببت لزيد ولا ضربت لعمرو كما يظهر لك بالبديهة فتنبه

على ان من المحدثين من زاد هذه اللام في غير ذلك ولم تُسمع زيادتها الا في الشعر لضرورة الوزن كقول الحافظ جمال الدين اليعمريّ

واستنشقوا لهوا الربيع فانهُ نعم النسيم وعندهُ الطافُ

وانما يقال استنشق الهواء ولا يقال استنشق لهُ . ومثلهُ قول ابي سعيد الرستميّ

فأعمُر لدنيا لولاك ما خُلقت وأهل دنيا لولاك ما خُلقوا

وقول محمد الحلبي الكوراني من المتأخرين

يسقي وان عزّت عليهِ ورام ان يشفي لداء محبهِ وحريقهِ
فيديرها من مقلتيهِ وتارةً من وجنتيهِ وتارةً من ريقهِ

وسيأتي لهذا نظائر من غير ذلك ان شآء الله

ويقولون زيدٌ كاتبٌ كما وانهُ شاعر فيزيدون واواً بين ما المصدرية وصلتها وهو من اغلاط العامة والصواب ترك الواو

ويقولون هو لا يرجع عن غيّهِ ولو مهما بذلت لهُ من النصح يريدون ولو بذلت لهُ من النصح مهما بذلت الاّ ان مهما لا تقع هذا الموقع لان لها الصدر فالصواب ان يقال ولو بذلت لهُ من النصح ما بذلت اولا يرجع عن غيهِ مهما بذلت لهُ من النصح

ويقولون ازورهُ رغماً عن هجرهِ لي ولا معنى للرغم هنا انما هو من التعريب الحرفي والذي يقال في هذا المقام ازورهُ مع هجرهِ لي او على هجرهِ لي وهو المعنى المراد من التعبير الافرنجي

ويقولون لما يجيئك زيدٌ أُكرمه فيدخلون لمّا على المضارع وهي مخصوصةٌ بالماضي والصواب استعمال اذا في مكانها يقال اذا جاءك زيدٌ فاكرمهُ . وقد ورد من هذا قول ابن حجة الحموي

والنبت يضبطها بشكلٍ معربٍ لمّا يزيد الطير في التلحينِ

ومثل هذا استعمالهم قطُّ للزمان المستقبل يقولون لا افعلهُ قطُّ ومن هذا ايضاً قول النواجي

مصرُ قالت دمشقُ لا تفتخرْ قطُّ باُسمها

وقول الخوارزمي

ويامن لست ارضى قطُّ بالبحر لهُ قطرَه

وعكسهُ استعمالهم ابداً للزمن الماضي ومنهُ قول عُبيد الله الميكالي

لك في المحاسن معجزاتٌ جمةٌ ابداً لغيرك في الورى لم تُجمعِ

ويقولون افعل هذا ولئن كلفك بعض المشقة يريدون وان كلفك فيزيدون اللام قبل إِن الوصلية وهي انما تزاد قبل الشرطية توطئةً لقسم محذوف تقول لئن لم تفعل هذا لتندمنَّ اي والله لئن لم تفعل مثلاً فالصواب حذف هذه اللام

ويقولون لا يجب ان تفعل كذا اي يجب ان لا تفعل ولا يخفى الفرق بين نفي الوجوب ووجوب النفي فانهُ على الاول يبقى الفعل جائزاً وبخلافهِ على الثاني كما يظهر بادنى تأمل

ويقولون لا آتيك ما زلت حياًّ يريدون ما دمت حياًّ فيجعلون ما قبل زال مصدريةً زمانية ولا يخفى ان معنى ما زال ما انقطع فاذا جُعلت ما مصدريةً على فرض صحة استعمال الفعل بدون النفي او شبههِ كان المعنى لا آتيك مدة انقطاعي عن الحياة وهو عكس المراد . ومن الغريب أن ممن سقط في هذا ابن خلدون حيث قال في الفصل الخامس من الكتاب الاول ولا تزال الصناعات في التناقص ما زال المصر في التناقص اللهمّ الا ان يكون هذا من غلط النساخ ولعلهُ الاقرب

ويقولون في مقام الاخبار لا زال زيدٌ يفعل كذا يعنون ما زال يفعل ولا لا تدخل على الماضي الا مع التكرار او العطف على منفيّ نحو لا صدَّق لا صلَّى وما زرت زيداً ولا زارني والاّ صار الكلام معها انشآءً وانقلب زمان الفعل الى الاستقبال

ويقولون اذا لا سمح الله حدث كذا أو ان لا سمح الله حدث كذا ..

فيفصلون بين اذا وما اضيفت اليهِ وبين إن وشرطها وكلاهما لا يجوز فالصواب تأخير الجملة المعترضة . وقد وقع مثل هذا لبديع الزمان في احدى رسائلهِ الى الامام ابي الطيب حيث يقول وان والعياذ بالله لم يوافق مرادهُ قَدَراً . ومن اغرب ما جآء من هذا القبيل قول الصاحب بن عبّاد

فان عسى ملتَ الى التباطي … صفعتُ بالنعل قفا بقراط

ففصل بين ان وفعلها بعسى وهو من التراكيب التي لا تصحّ ولا يمكن تصحيحها بوجه على ان المعنى الذي يريدهُ من عسى مستفادٌ من الشرط نفسهِ فزيادتها خطأٌ في اللفظ لغوٌ في المعنى

ويقولون قلت لهُ أن يفعل كذا وأن لا تقع بعد لفظ القول والصواب قلت لهُ ليفعل بلام الامر وان شئت حذفت اللام وابقيت الفعل مجزوماً او رفعتهُ ومن الاول قول الراجز

قلتُ لبوابٍ لديهِ دارها … تئذَنْ فاني حَمْها وجارها

ومن الثاني قول المهلهل

قـل لبني بكرٍ يردُّونهُ … او يصبروا للصيلم الخنفقيق

على ان من المولدين من اتفق لهُ استعمال ذلك في الشعر كقول ابن عبد العزيز

فقولا لطبعي ان يزول فانهُ … يرى لكما حق الموالي على العبدِ

وربما زاد بعضهم البآء قبل أنْ وانما تزاد البآء في مثل هذا اذا كان القول بمعنى الرأي والمذهب لا على اصل معناهُ ومن هذا قول ابن العطار

وقل لعليل الطرف عني بانني … صحيح التصابي والفؤاد عليلُ

وربما زادوا البآء في غير ذلك كقول ابن اسد الفاروقي

وللصهبآء اسمآءٌ ولكن نسيتُ بأن في الاسمآء ريقا

ولا جه لزيادتها هنا لانك تقول نسيت الامر ولا تقول نسيت بهِ . ومثلهُ قول ابن بقيّ

ودّعتُ من اهوى وقلت تأسفاً صعبٌ عليَّ بأن اراك مفارقي

فزادها على المبتدأ وهي لم تسمع كذلك الا في قولهم بحسبك درهمٌ . على ان اكثر ما سُمعت هذه الزيادة اذا كان مدخول البآء مفتتحاً بأنْ او أنَّ المصدريتين لكثرة ورود هذه البآء هناك حتى تنوسي المراد منها ولذلك ترى اكثر كتابنا اليوم يقولون لا يخفى بأن الامر كذا ويسرّني بأن يكون زيدٌ كذا وهلمَّ جرًّا مع انهم لو استعملوا المصدر في ذلك كلهِ لم يكن لهذه البآء محلٌّ عندهم . ومن الغريب ان ممن استُدرج بهذا عنترة العبسيّ في معلقتهِ المشهورة حيث يقول

ولقد خشيت بان اموت ولم تدر في الحرب دائرةٌ على ابني ضمضمِ

وقول من قال ان البآء تزاد على مفعول خشي ليس بشيء لانهُ لو استعمل الاسم هنا لم يقل خشيت بالموت . وانكر ما جاء من مواضع زيادتها قول ابن حجة الحموي رواهُ لنفسهِ في خزانة الادب

منعمةٌ لفآء مهضومة الحشا تكاد بأن تنقدَّ من دقة الخصرِ

فزادها في خبر كاد وهو من المواضع التي لا تدخلها أن الا شذوذاً فضلاً عن اشكال دخولها في هذا الباب من اصلهِ فما عتم ان زاد هذه الطينة بلةً بدخول البآء (ستأتي البقية)

اريج الخليج

او

تذكار القسطنطينية

لحضرة الكاتب الفاضل قسطاكي افندي الحمصي

اما القسم الثالث وهو الخليج فالمراد منهُ القرى او البلاد الصغيرة التي على ضفتيهِ ممتدةً على مدى البصر مسافة ساعتين او اكثر على جري البواخر الخيرية . وكلّ هذه القرى مصايف لاغنيآء القسطنطينية واكابرها وبها الفنادق الواسعة والمطاعم الكثيرة والدساكر العديدة والحانات الجميلة والدور المزخرفة والمنازل الرحبة والجواسق الانيقة والقصور البديعة وبها لسفرآء الدول صروح تكتنفها البساتين والجنان . وبها كثير من الاودية والهضاب وكلّها مكتسية بالاشجار الباسقة المشتبكة والادغال المحتبكة والمروج والغياض والازهار والرياض والعيون تتدفق بمآء يروي عن السلسبيل والعروش احكمتها يد الطبيعة للمبيت والمقيل لا يدخلها النسيم حتى يغدو عليلاً ولا تصدح اطيارها الا ترتيلاً وفوق كلّ هذه البدائع منظر الخليج الرائع

بقعةٌ خصها الاله ببعضٍ من مزايا فردوسهِ العلويّ

فهي تجلو لاعين الحِسّ شيئاً من كمالات حسنه المعنويّ

اما القسم الرابع من هذه العاصمة.وهو بيك اوغلي او بيرا فهو محطّ رحال الفرنجة الذين يقصدونها واكثر شوارعهِ مستقيمة غير ان بلاطها لا يختلف عن استنبول وباقي الاقسام فهو من الظِرّان التي تفري الاقدام وتثقب

العظام الا الشارع الكبير المعروف بالشارع المستقيم (طوغري يول) و بعض الجوادّ التي لا تتجاوز عدد الانامل . وفي هذا القسم اشهر الفنادق والمطاعم ودور القهوة والكثير منها يحاكي مافي عواصم اوربا اتقاناً وزينة واخصها فندق « بيرا بالاص » لحسن موقعهِ وجمال هندستهِ وثمين اثاثهِ . وفي هذا القسم قصور سفارات الدول كلها واكثرها مغانٍ واسعة في وسط بساتين وحدائق منسوقة احسن نسق . وفيهِ بساتين عامة يستأجرهـا اناس من الدوائر البلدية يدفع داخلها غرشاً واحداً وهي مرتبة على الطريقة الفرنجية لا تختلف عن بساتين اوربا العامة في شيءٍ واكثرها يطل على البحر وما حولهُ وبهـا كراسي ومقاعد لمن يرغب في شرب شيءٍ من القهوة او الشراب فيدفع قيمة ذلك . وفي هذا القسم من المدينة كثير من الدكاكين التي تحاكي دكاكين اوربا في كثرة السلع وحسن تنسيقها الاّ ان الباعة بهـا ليسوا على شيءٍ من رقة وآداب باعة اوربّا فاذا سألت احدهم عن قيمة السلعة نظر اليـك اولاً من الفرق الى القدم وتفرس فيك لينظر هل انت اهلٌ لمشترى سلعتهِ فان احسن بك الظن اقبـل عليك واستام منك اربعة او خمسة اضعاف القيمة فان كنتَ غِرّاً او خجلت من المساومة وسعّرت السلعة بنقص قليل عمـا استام بها انشب فيك اظفارهُ وقبض منك القيمة كلصّ في رائعة النهار بلا خجل ولا استحيآء وخرجت من دكّانهِ بصفقة المغبون وان لم يحسن بك الظن اي رآك ممن لا تنفذ فيهم مخرقة المحتالين اقبل اليك متثاقلاً ثم عند تسعيرك السلعة ينظر اليك باستنكاف كأنّهُ يأسف على الـكلمة التي اضاعها بالقآئها على مسمعك ثم يولّي وجههُ عنك بمنتهى الخشونة . واكثرهؤلآء هم

الارمن ثم الروم فالفرنجة لكنّهم على درجات متفاوتة في القحة والاحتيال

وفي هذا القسم محلة غلطة التي هي على ساحل الخليج وهي مركز تجارة الآستانة فيها اكثر دور البُرُد الاجنبية والعثمانية ايضاً والمصارف والبيوت التجارية الكبيرة ويُنزَل اليها من بيك اوغلي بمئة وست درجات وقد يُذهَب اليها من طريق اخرى اطول بركوب المركبات الحديدية (الترامواي) ولتقريب المسافة والوصول باتمّ الراحة قد خرقوا نَفَقاً تحت الارض تجري فيهِ مركبات بخارية مربوطة بحبال من شريط الحديد اذ انها تنزل بكل سهولة لشدة الانحدار الكائن بين بيك اوغلي وغلطة لكنّ اصعادها لا يتيسّر بغير هذه الحبال التي تمنعها من الرجوع القهقرى فيصل الراكب فيها باقلّ من دقيقتين الى احدى المحلتين صعوداً ونزولاً باجرة لا تزيد عن الثلاثين بارة ولا تنقص عن العشرين . ومن محلة غلطة هذه يُذهب الى استنبول ولكن لمّا كانت المسافة بينهما تزيد على الساعتين لاضطرار الذاهب ان يدور حول اللسان المسمى بقرن الذهب الممتد من الخليج فاصلاً بين القسمين فقد مدّوا منذ عهدٍ قريب جسرين من الخشب على اقواس وقوائم حديدية فوق قرن الذهب المذكور تمرّ عليهما المركبات والخيل والناس فيصل الماشي في اقلّ من عشر دقائق ويُدفَع للعبور على احد الجسرين عشر بارات واما المراكب فيُدفَع لعبورها غرشان ونصف

وفي جميع اقسام الآستانة وبعض قرى الخليج الكبيرة يوجد مجالس اوكما يقال دوائر للبلدة تسمى الدوائر البلدية واكثرها اهتماماً دائرة بيك اوغلي . لكنّ هذه الدوائر بالاجمال لا تختلف في نقص العناية وقلة الهمة

عن سائر بلديات الولايات وهذا مما يستوجب مزيد الاسف فقد سمعت كثيرين من الاجانب يقولون الآستانة في الشتآء بلد الاوحال وفي الصيف مدينة الغبار واكابرها على العموم يتشكون من ذلك

ومن منازه الآستانة منزهة الكاغدانة وهي ميدان ذو مروج اريجة واقع عند آخر قرن الذهب يجري فيهِ نهرٌ تنضب مياههُ في الصيف لكنهُ في الربيع ـ وهو الفصل الذي تُقصد فيهِ المنزهة المذكورة ـ كثير المآء الى حدّ ان تجري فيهِ الزوارق الصغيرة آتيةً من الخليج وقد تذكرت بهِ قول البهآء زهير في النيل

حبـذا النيل والمراكب فيهِ صاعداتٍ بنـا ومنحدراتِ

والمنزهة المذكورة هي في الربيع موعد الهنآء ومجمع الصفآء يختال فيها من ذوات الخدور وربّات القصور كل ظبيةٍ انيسة وفتنةٍ للعقول نفيسة قد لبست من انعم الحرير جلابب وذهبت في انواع الدلال مذاهب تسير بهنَّ المركبات دائرات وتنعطف متمهلات وتجري بهنَّ الزوارق والقلوب خلفهنَّ خوافق فهناك مئات من الفتيان والشبان قد لبسوا آخر زيٍّ من الملابس وأُفرغوا من الحسن في اكمل قالب وليس لهم من كلّ ما ينظرون غير خُلَس الحديث وما يوحيهِ سحر العيون . وبالجملة فالمكان في هذا الفصل مصرع العشّاق ومسرح الغزلان

وفي هذا القسم من المدينة منزل ربّ المكارم العربية وعميد السلالة الشريفة الصيّادية وكبير مشايخ الطريقة الرفاعية امام الصلاح والتقى حضرة صاحب السماحة سيدي الشيخ ابي الهدى

مبارك الأسم اغرّ اللقب　　　كريم الجرشّي شريف النسب

وجوسقهُ هذا محط رحال الناطقين بالضاد من جميع الامصار والبلاد والشيخ حفظهُ الله قبلة آمالهم ومنتجع نوالهم يستقبلهم بصدرهِ الرَحْب ووجههِ الطَلْق ولسانهِ العَذْب وهو احد صدور دولة آل عثمان وفردٌ من افراد الزمان قطب الآداب والعلوم ومالك ازمّة المنثور والمنظوم وبالجملة فكانهُ من الفضل معروف وبالمزايا الهاشمية موصوف من قوم هم

بيض الوجوه كريمةٌ احسابهم　　　شمّ الانوف من الطراز الاوّلِ

وفي هذا القسم دور الاستشفآء لمرضى الفرنجة وغيرهم شادها بعض السفرآء وفيهِ دار العَجَزة التي بُنيت بامر امير المؤمنين مولانا السلطان عبد الحميد خان الثاني وهي احدى عجائب هذه العاصمة وقد بُذل في سبيل بنيانها ستون الف ليرة عثمانية ونيّف وبها كنائس كثيرة وليس بينها ما يستحق الذكر ٠ ومن ابنيتها الجميلة دار المصرف العثماني ودار حصر الدخان وفي هذا القسم دار بطريركية الارمن الكاثوليك ايضاً

وفي هذا القسم قصور عديدة شيّدها السلاطين العظام من آل عثمان كغلطه سراي وهو اليوم دار المكتب السلطاني المتقدم الذكر ٠ وطولمه بغجه سراي وهو الذي بناهُ ساكن الجنان السلطان عبد المجيد خان والد مولانا امير المؤمنين ٠ وهذا القصر مبني على ساحل الخليج ممتدٌّ على طول الف متر أو اكثر ومعظم حجارتهِ من المرمر الابيض محفور عليها نقوش تحاكي الورود والازهار والعروش والاكاليل والباقات مطلية كلها بماء الذهب وحولهُ جنان وحدائق غنآء ٠ وبهذا القصر الردهة الشهيرة التي

يُقال انها تستوعب خمسة آلاف نفس وهي مزينة بالنقوش البديعة ومدهونة بالالوان الزاهية واكثر ذلك مزوّق بماء الذهب . وفي هذه الردهة يتقبل جلالة الخليفة الاعظم تهانئ اركان الدولة في عيدَي الفطر والنحر . وفي القسطنطينية قصور عديدة غير هذه واعظمها شأناً وارفعها جلالاً قصر يلديز العامر وهو سلسلة قصور عظيمة بديعة على ارفع جبال هذا القسم منها تحيط بها جنات وحدائق وادغال واحواض ورياض وسواقٍ جارية وعيون دافقة وهضاب واودية قد كُسيت بالمروج الخَضِرة وظللتها الافنان النضرة وازدانت بالازهار البديعة والورود الغريبة الكثيرة الالوان وفيها طرقات تسير عليها المركبات وقد حمتها الاشجار الباسقة من حر الشمس فصح فيها قول الشاعر

وقانا لفحة الرمضآء وادٍ سقاهُ مضاعف الغيث العميمِ
حللنا دوحهُ فحنا علينا حنوّ المرضعات على الفطيمِ

وهذا القصر العامر يطل من اكثر جهاتهِ على الخليج الذي هو من اجمل مناظر الطبيعة وابدعها وهو اليوم مستقرّ العزّ والجلال ومنبع الفيض والنوال ومطلع انوار العظمة والكمالات ومنهُ تتوزع النعم على صنوف المخلوقات وبهيبة سلطانهِ تحدق الابصار من جميع الامصار ولربّهِ امير المؤمنين مولانا السلطان عبد الحميد الثاني يخضع كل العثمانيين والمسلمين حرس الله مهجتهُ وادام بالاعزاز والنصر دولتهُ

آمينَ آمينَ لا ارضى بواحدةٍ حتى اضيف اليها الف آمينا

﴿ الطاعون ﴾

قامت البلاد المصرية وقعدت في هذه الايام لخبرٍ فاجأ القطر من جهة الاسكندرية يحقق ظهور الوبآء في ذلك الثغر منذ اواخر الشهر الغابر. ألا وهو النبأ الذي ارتعدت لهُ المفاصل وهلعت القلوب لقدوم هذا الزائر المشؤوم الذي لم تنسَ مصر ما كان لهُ فيها من الفتك الذريع فيما مضى ولا تزال تقشعرّ الابدان لِما يرد علينا من انبآئهِ في الهند وما بسط على اقطارها من اجنحة الفنآء ودمّر في ارجآئها من المدن الغنآء . وكيف لا وهو العدوّ الذي لا يُعرَف ايّ طريقٍ يسلك ولا بأيّ سلاحٍ يقاوَم والذي اذا وطئ ارضاً قضى فيها الفصل بعد الفصل والعام بعد العام فتجدّد فيها مع الاعقاب ولم يفارقها الا وهي يباب

وقد كان اول ما ظهر من أشراط الدآء على ما جآء في جرائد الثغر في الرابع من الشهر الغابر وقد اصيب رجلٌ يونانيٌّ بما يشبه اعراض الطاعون فعُزل من منزلهِ بالهماميـل الى المستشفى اليوناني الا ان الاعراض لم تكن واضحة فبقي الامر مشكوكاً فيهِ ولبث تحت حجاب الكتمان الى ان كان اليوم السابع عشر من الشهر فأصيب رجلٌ آخر من اليونان بالاعراض نفسها فعُزل ايضاً من منزلهِ بشارع السبع بنات الى المستشفى المذكور وتواترت الاصابات بعد ذلك والاطبآء بين مثبتٍ للدآء ونافٍ لهُ حتى بلغت في اواخر الشهر عشر اصابات فثبت لهم بتكرار الفحص والمراقبة ان الاعراض اعراض الطاعون بنفسها وايد ذلك ما عاينوهُ من جراثيمهِ الخاصة مما لم يبقِ موضعاً للريب

اما طريق انسلالهِ الى القطر مع ما بُذل في منعهِ من التحوطات والنفقات فقد اختلفت فيهِ الاقاويل ولا يبعد انهُ كان من الثلمة التي حدثت في محجر عيون موسى بفرار ثلاثة من رجال الانكليز الوافدين من الهند ودخولهم القطر على الجمال وذلك قبل الاصابة الاولى التي حدثت في الاسكندرية بنحو نصف شهر . وقد افاضت الجرائد في ذلك عند حدوثهِ وتوقعت وراءهُ شرًّا كبيراً ثم درجت على اثرهِ الايام الى ان تنوسي الامر او كاد وأمل الكثيرون ان ينقضي على غير تبعةٍ تخشى فلم يفلح الامل ولم يكذب الحذر ومضى القضاء في وجهتهِ وظهر الداء واصبح القطر كلهُ في قبضة الخطر يتهددهُ كل ساعة واصبحنا في موقفٍ لا واقي منهُ الا رحمة الله والله لطيفٌ بالعباد

وقد بلغت الاصابات في الاسكندرية الى يوم كتابة هذا الفصل (١٢ يونيو) ٢٤ اصابة توفي من اصحابها ٧ وشفي ٦ والباقون تحت المعالجة. والظاهر ان الداء قد تناول اكثر احياء الاسكندرية مما يدل على ان الذرائع التي اتخذتها الحكومة لحصرهِ كانت غير كافية وفوق ذلك فان الصلات بين الاسكندرية وسائر جهات القطر لا تزال على عهدها بحيث ان طريق الداء ممهدٌ الى كل ناحيةٍ من نواحيهِ على حين قد أُعدّ لهُ في كل بلدةٍ يؤمها مرعىً خصيب من الاقذار المنتشرة في الازقة والمنازل بحيث ينزل على الرحب والسعة . وما زالت الجرائد تصدر كل يومٍ وهي غاصةٌ بالتنبيه والتحذير وتحريض اولي الامر ان يتداركوا هذا الخطر العميم بتوجيه العناية الى ازالة تلك الاقذار التي لا تلبث ان تصير باسرها طاعوناً ينتشر في سماء

القطر وارضهِ ويجتاح ارواح الالوف المؤلفة من سكانهِ ورجال الحكومة لا يزيدون ذلك النداء الا تصاماً واعراضاً حالة كونهم يرون البلاء واقفاً بالمرصاد وقد صار اقرب الى النفوس من حبل الوريد . وقد قلقت حكومات اوربا باسرها خوفاً من تخطي الوباء الاسكندري اليها وتأهبت لصدّه ومقاومته وحكومتنا متقاعدة عنهُ حتى اعجزها حصرهُ في حيٍ من احياء الاسكندرية فما الظن بحصرهِ في مدينة الاسكندرية نفسها . بل هي قد استسلمت للبلاء واهملت حتى التفتيش الصحي على القادمين من الاسكندرية الى سائر مدن القطر وهو اقل ما تتخذهُ الحكومات من الذرائع في مثل هذه الاحوال واخذت من اليوم تستعدّ لتفشيهِ في البلاد فأعدّت لهُ في العاصمة مكاناً مخصوصاً في العباسية لنقل المطعونين اليهِ ولعلها قد اعدّت اناساً مخصوصين لدفن من يموت بهِ ... عظَّم الله اجر حكومتنا في رعاياها وجعل كل من يموت منهم فدًى عنها

⁂

بقي انهُ اذا كان هذا مبلغ ما عند الحكومة من الاهتمام بوقاية البلاد من شر الوباء فلا اقلّ من ان يحتاط كل فرد لنفسهِ بما تفرضهُ القوانين الطبية والصحية على قدر ما يستطاع اليهِ السبيل . وقد اقترحنا على حضرة النطاسيّ الشهير الدكتور شبلي شميل اجابةً لطلب كثيرين من قراء الضياء كتابة فصل في هذا المعنى يلخص فيهِ وصف الداء وطرق انتشارهِ ووجوه الوقاية منهُ فابى الى ذلك بما طُبع عليهِ من الغيرة والاريحية وما عُرف بهِ من خدمة الانسانية وهذه صورة ما تفضل علينا بهِ قال حفظهُ الله

﴿ الطاعون ﴾

الطاعون مرضٌ قديمٌ جدًّا من امراض العالم القديم وقد ورد ذكرهُ في كتب ابقراط وفي سياق حكايةٍ طويلة لم يذكر فيها سوى هول المرض وانقضاضهِ على بلاد الفرس واستغاثة ملك الفرس بهِ ورفضهِ اغاثتهُ ولكن لم يُذكَر فيها شيءٌ من اعراضهِ الفارقة . ولعلهُ في الاصل اسمٌ للوبآء على الاطلاق وقد عرَّفهُ ابن سينا انهُ اسمٌ كان يطلق في الاصل على كل ورمٍ غُدّي ثم قيل مع ذلك لما كان منهُ قتّالاً قال « وأسلم الطواعين ما هو احمر ثم الاصفر والذي الى السواد لا يفلت منهُ احد والطواعين تكثر في الوبآء وفي بلاد وبيئة » وهو اليوم اسم لمرضٍ عفنيّ حُمّيّ مستوطن في بعض الجهات ووافدٌ في البعض الآخر

وقد كان الطاعون كثير الانتشار جدًّا في العصور القديمة وانقضَّ على اوربا في العصور الوسطى وعاث فيها كثيراً وكان مستوطناً في مصر حتى عُدَّت مصر منشأً لهُ وبقي كذلك الى سنة ١٨٤٥ وانحصر في الشرق الاقصى حيث يثور ويهجع منقطعاً من جهة ليظهر في غيرها وانتقل منهُ مراراً الى جهات أُخرى كبلاد ما بين النهرين وبلاد العجم وبعض الجهات في روسيا وقد ظهر في الهند في المستعمرات الانكليزية من نحو اكثر من سنتين ولا يزال في بمباي حتى اليوم

وبعد ان غاب خمساً وخمسين سنة عن مصر عاد فظهرت منهُ بعض حوادث في اوائل الشهر الماضي في الاسكندرية وحتى كتابة هذه الاسطر لم يتجاوز عددها حوادث معدودة والارجح انهُ اتاها منتقلاً من الهند ولكن كيفية ذلك

لم تعلم جيدًا . ويظن انهُ انتقل اليها مع البضائع لا مع الناس

وكان القول سابقاً ان الطاعون مرض غير معدٍ وانهُ من الامراض الميازمية وهذا كان مذهب كلوت بك ومن تبعهُ من الاطبآءِ الفرنساويين في ذلك العهد . والجمهور بعدهُ على انهُ مرضٌ معدٍ شديد العدوى حتى ان العامة في مصر كانوا يعتقدون ذلك ويتقونهُ باجتناب مخالطة المطعونين والعزلة في بيوتهم وحتى ان الدول في كل الجهات اقاموا في الماضي المحاجر لضرب الحجر على جميع الصادرات وعلى الناس الآتين من بلادٍ موبوءة. ولكن سرَّ العدوى لم يعلم جيدًا الا من بضع سنين والفضل في ذلك لواحدٍ من المتخرجين في معمل بستور اسمهُ يرسين فانهُ اكتشف في الطاعون الذي فشا في هنكنغ من بلاد الصين في سنة ١٨٩٤ مكروباً ظهر من الامتحانات الكثيرة انهُ سبب هذا الدآء الوبيل وجاءت ابحاث كيتازاتو في ذلك العهد موافقةً لذلك ايضاً واليوم لم يبقَ شكٌّ في ان مكروب يرسين هو مكروب الطاعون الخاص بهِ

فالعدوى اذاً هي انتقال مكروب هذا الداءِ من مريضٍ الى صحيح ومن بلادٍ وبيئة الى بلاد سالمة من الوباءِ فلا بدَّ في العدوى اذاً من مخالطة المريض اوملامسة ما لامسهُ

وكان يُظَنُّ ان العدوى تتم بانتقال سم المرض بالهواءِ ونفوذهِ الجسم عن طريق المسالك الهوآئية وهذا القول وان لم يكن عندنا ما ينقضهُ فليس لنا ما يثبتهُ واذا كان للهوآءِ شأنٌ في نقل العدوى فقد يكون ذلك بما ينقلهُ من الغبار العالق بهِ شيءٌ من مكروب هذا الداءِ فيلقيهِ على سطح

الجلد والغشآء المخاطي للفم والانف فاذا كان فيهما سحج او جرح او اي تفرُّق اتصال اختمر هناك وتكاثر ونفذ الى باطن الجسم كما يحصل في التلقيح اذ ثبت اليوم من الامتحانات الكثيرة ان هذا الدآء لا ينتقل الى سايم الاَّ بالتلقيح وهو لا ينتقل عن طريق القناة الهضمية كسائر الامراض المعروفة لانهم امتحنوا ذلك بأن أطعموا بعض الحيوان الذي يفتك بهِ الطاعون فتكاً ذريعاً كالفيران من مستنبتات مكروب الطاعون فلم يُصَب بهِ . وعليهِ فاذا كان للطعام شأن في احداث العدوى فيكون ايضاً من وجود قروح او جروح في الغشآء المخاطي للفم والحلق تتلقح بهِ . وكذلك لا ينتقل بالشراب لان هذا المكروب لم يوجد في المآء بل بالضد من ذلك وجدوا ان الذين كانوا مقيمين في السفن والمراكب في الانهر او البحار في وقت الطاعون نجوا منهُ

ومما يساعد على التلقيح قرص الحيوانات الحلمية كالذباب وخصوصا البراغيث فانهم جعلوا اليوم لهذه الحيوانات الصغيرة شأناً كبيراً في نقل العدوى

ومن الحيوانات التي يعرض لها الدآء الفيران حتى لقد يسبق انتشار الطاعون بين الناس موتانٌ كثيرٌ فيها وقد عرفوا ذلك في الشرق الاقصى حتى اذا رأوهُ تركوا مساكنهم وفرُّوا هاربين

وبدرس طبائع هذا المكروب عرفوا انهُ يحبّ الرطوبة القليلة والحرارة اللطيفة ولا يقوى على البرد الشديد ولا على الحرارة الجافَّة ولو لم تتجاوز ٨٠° ومزيلات الفساد كلها تهلكهُ ولو ضعيفة فهو من هذه الحيثية اضعف من سائر المكروبات المرضية المعروفة مما يجعل الوقاية منهُ أسهل من الوقاية

منها. وهو يحبّ جدًّا القذارة ولذلك كان كثيراً في المدن القذرة والاماكن الفاسدة الهوآء التي يتراكم فيها الناس وبين الفقرآء وقلَّما يعرض في الجهات النظيفة المساكن والسكان

واعراض هذا الداء حمَّى قد تكون شديدة جدًّا وقد تكون خفيفة للغاية وتتبعها اعراض عمومية نظيرها يعقبها ظهور اورام في غُدَد الأُربيَّة او الابط او العنق تسمى دُبيلات وغالباً تكون وحيدة. وقد تظهر جمرات وفلغمونات في اقسام اخرى من البدن اذا طالت مدة الداء وكان شديداً وغالباً تهبط الحمَّى اذا تقيَّحت الدُبيلة وقد يدل ذلك على انكسار حدَّة المرض ولكن يجوز ان تشتدّ الاعراض العمومية بعد ذلك أيضاً وتنذر بسوء المصير

والعلاج لا تختلف مدلولاتهُ عنها في علاج سائر الامراض الوبيلة اي العفنية ويناط امرهُ بالطبيب المداوي. على انهم بعد اكتشاف مكروب هذا المرض حاولوا ان يوجدوا لهُ علاجاً خاصًّا بهِ كما اوجدوا ذلك للدفثيريا فاكتشفوا مصلاً زعموا انهُ يشفي من الداءِ وجروا في استحضارهِ على طريقة استحضار مصل الدفثيريا باستنبات المكروب في اجسام الخيل والظاهر ان نفع هذا المصل لم يثبت كما ثبت لمصل الدفثيريا . ومهما يكن فهو العلاج الاصوب في علاج هذا الداء وسائر الادواء الخاصَّة لانهُ هو الطريقة التي تسير عليها الطبيعة في شفآء العلل وسيكون لهذا العلاج شأنٌ عظيمٌ في المستقبل لكن الصعوبة هي في الاهتداءِ الى كيفية استحضار المصل وهذا تتكفل بهِ التجارب في المستقبل وهو اعظم اكتشاف في هذا العصر والعصور السابقة في علم العلاج والفضل فيهِ لبستور الفرنساوي وتلامذتهِ

وقبل ان نختم الكلام في هذا المرض لا بدَّ لنا ان نتكلم عن الوقاية منهُ وهي كالوقاية من سائر الامراض الوبآئية تقوم بالعزلة اي عزلة المكان وعزلة السكان لمنع كل اتصال مع البلاد الموبوءة ومنع مخالطة الاصحآء للمرضى بل هي اسهل منها لضعف مكروب الطاعون عن المقاومة كما علمت مما مضى. ولا ريب ان النظافة الحقيقية اعظم وسائل هذه الوقاية ويراد بها نظافة المدن ونظافة المساكن ونظافة السكان والأرجح انهُ لا خوف الآن على مصر من انتشار هذا الداءِ لان قلة الحوادث وعدم تفشيها من عهد ظهورها وسلامة المصابين غالباً تدل على ان سم المرض خفيف جدًّا ولان الفصل الحارّ لا يلائمهُ ونحن على ابواب الصيف . ولعلَّ شدَّة تيقُّظ الحكومة والشعب الى وسائل الوقاية مع ذلك تساعد على استئصال شأفتهِ قبل انقضاءِ فصل الحرّ ودخول فصل البرد وهو الفصل الذي كان الطاعون يشتدّ فيهِ في هذه البلاد . انتهى

مُتَفَرّقَات

حرارة الشمس – حسب علمآء الطبيعة انهُ لو اوقد كل ما في الارض من الفحم دفعةً واحدةً لما زاد على ما تبعثهُ الشمس من الحرارة في عشر ثانية

تقدير عدد الاسماك – قدّر الاستاذ هربرت احد مشاهير علمآء الاسماك ان كل ميل مكعب من مآء البحر يشتمل على ١٢٠ مليوناً من السمك

مقدار ما يدخل جسم الانسان من العناصر ـ حسب بعضهم ان ما يدخل جسم الانسان في مدة سنة من طعام وشراب وهوآء يبلغ نحو وسق ونصف (١٢٠٠ اقة)

اعمار بعض الحيوانات ـ ذكروا ان اطول الحيوان عمراً الفيل فانهُ يبلغ اشدَّهُ بين ٢٥ و ٣٠ سنة وقيل ان بعض الفيلة يبلغ من العمر ١٥٠ سنة . والاسد يعيش ٤٠ سنةً وذكروا ان اسداً في برج لندن بلغ ٧٠ سنة . والخيل تعيش في الغالب من ١٨ الى ٢٤ سنة والبقر من ١٨ الى ٢٠ . قالوا واذا اعتُني بالفرس حق العناية وأُكثر من ارساله الى المرعى بحيث يقضي فيهِ مدداً طويلة فقد يبلغ ٤٠ سنة

فوائد

اطفاء الحريق ـ ذُكر في بعض المجلات العلمية ان اسهل طريقة لاطفاء الحريق ان يؤخذ ٢٠ ليبرة من ملح الطعام و١٠ من ملح الامونياك يحل مجموعهما في ½ ٣١ لتراً من الماء ويوضع المحلول في زجاجاتٍ رقيقة تسع الواحدة منها ربع المقدار المذكور وتسد بالفلين سدًّا محكماً حتى لا تتبخر . فاذا حدث حريق تطرح هذه الزجاجات في اللهيب او بقربهِ لتنكسر ويخرج ما فيها من الغاز فيطفئ اللهيب في الحال

قرآءة السكة الممحوَّة ـ اذا انمحت كتابة السكة حتى تتعذر قرآءتها فافضل طريقةٍ لاظهارها على ما ذكرهُ احد المجربين ان تُحمى على النار شيئاً

فشيئاً فيظهر ما عليها من الكتابة غالباً

عسر الهضم ـ وصف بعضهم لعسر الهضم الجلوس على كرسيٍّ هزّاز بحيث يكون وضع الجسم قريباً من الافقيّ ما امكن فان الحركة كذلك من افضل المنبهات للقوة الهاضمة

آثار ادبيّة

خزانة الايام في تاريخ العظام ـ اهديت لنا نسخةٌ من هذا الكتاب وهو سفرٌ نفيس يشتمل على تراجم اشهر رجال العصر الحالي من تأليف حضرة الكاتب الاديب يوسف افندي نعمان المعلوف صاحب جريدة الايام المشهورة التي تُطبع في مدينة نيويرك . وقد قسمهُ الى خمسة ابواب ذكر في اولها الأُسَر المالكة وتراجم ملوكها الحاليين . وفي الثاني تحرير الولايات المتحدة ودستور احكامها . وفي الثالث تراجم شتى لأُناسٍ من مشاهير اهل العصر ونبذةً في تاريخ لبنان وتراجم من تولى احكامهُ من المتصرفين وجماعةٍ ممن اشتهر من رجال لبنان وسوريا . وفي الرابع تراجم عدةٍ من مشاهير ارباب السياسة من الشرقيين والغربيين . وفي الخامس تراجم بعض البطاركة المعاصرين ونبذة في السوريين والمهاجرة وذكر احوال المهاجرين . وبين كل ذلك فصولٌ ومباحث في اغراضٍ شتى من التاريخ والسياسة والعلم والتجارة وغيرها بحيث لا يعدم المطالع فيهِ فائدةً او لذة . فنحن نثني على مؤلفهِ ثنآءً جميلاً ونحض المتأدبين من ابنآء الوطن على اغتنام فوائدهِ

والكتاب يشتمل على نحو ٣٠٠ صحيفة كبيرة جيد الورق متقن الطبع وقد شُفع غالب ما فيهِ من التراجم بصور اصحابها مما لا يُرى مجموعاً في غير هذا الكتاب وهو يطلب من ادارة جريدة الايام وثمنهُ ريالان ونصف

تحرير المرأة ـ هو سفرٌ جليل وضعهُ حضرة الفاضل قاسم بك امين المستشار في محكمة استئناف مصر الاهلية وطُبع بالتزام حضرة الاديب محمد علي افندي كامل صاحب مكتبة الترقي ومطبعتها بالقاهرة . وقد تصفحنا هذا الكتاب فوجدناهُ حسن التنسيق محكم الوضع يشفّ عن علمٍ واسعٍ ومادّةٍ غزيرة وذهنٍ صافٍ وقابٍ متصرف . وقد جعل بحثهُ في المرأة المصرية وما هي فيهِ من التخلف والبعد عن مقتضى الحضارة العصرية فشرح حالها شرحاً بيناً في جميع اطوارها الحسية والمعنوية وحض على وجوب تربيتها جسماً وعقلاً مع بيان مكانها من الامة وما يترتب على حالها من التأثير في حال الأُسرة بخصوصها والمجتمع بأسرهِ واردف ذلك بالكلام على احوالٍ خاصّة من امر الحجاب وشؤون الزواج والطلاق وتعدد الزوجات الى ما يتصل بهذه المعاني سالكاً في جميع هذه المباحث مسلك الفلسفة تارةً والاجتهاد اخرى وكل ذلك بعبارةٍ سهلة واضحة المفهوم سديدة المنهج حريةٍ بأن يُتلقى مضمونها بالرويّة والاستبصار . فنثني على المؤلف اطيب الثناء لما عُني بهِ من تأليف هذا الكتاب ونرجو لهُ تحقيق ما يتوخى بهِ من النفع والفوز بجميل الثواب

فكاهات

رواية

الأستاذ (١)

حدَّث رئيس مدرسةٍ قال

يعجب معارفي واصدقائي من بلوغي الى رئاسة هذه المدرسة الجامعة مع قلة بضاعتي العلمية حتى اكاد أُعدُّ في الاميين ولكن يقال اذا ظهر السبب بطل العجب . اما قصتي فهي ان والدي ووالدتي توفيا وانا في حداثة سني مع شقيقةٍ لي ولم يتركا لنا ثروةً نعيش منها ولا مسكناً نأوي اليه فأخذت اسعى في تحصيل قوتنا ولم يكن ذلك سهلاً عليَّ لاني لم اكن اعرف من انواع الصناعة شيئاً ولم اكتسب علماً في المدرسة سوى قواعد اللغة اللاتينية فكنت اقرع ابواب الكرام سعياً في التماس شغلٍ لي فيستقبلوني بالرحب حتى اذا اختبروني فاطلعوا على قصوري وجهلي حتى للغتي الاصلية اقفلوا في وجهي ابوابهم وعدت خائباً . وكنت بعد ان اجري طول النهار اعود الى البيت مساءً فارى شقيقتي جوليا بانتظاري وهي ترجو ان ارجع اليها بشيءٍ مما جمعت في نهاري ولكنها لا تلبث ان تقرأ في وجهي عدم النجاح فتجتهد

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

في كتم ما بها والتخفيف عني فيزيد ذلك في عذابي ويحرمني راحة الليل

وفي ذات يوم بينما انا سائرٌ كعادتي في شوارع المدينة اذ رأيت مكتوباً على باب احد المحلات العظيمة ما يأتي . من كان طالب خدمةٍ بأية صفةٍ كانت فعليهِ بمفاوضة صاحب هذا المحل . فلما قرأت ذلك كدت اطير من الفرح واندفعت الى الداخل فرأيت رجلاً مهيباً جالساً الى مكتبٍ وامامهُ الصحف والرسائل تلالأ فحييتهُ باحترام فاجاب مختصراً ثم سألني عن حاجتي فقلت اريد الخدمة . قال هل سبق استخدامك في احد المحلات قلت لا . قال وما صناعتك قلت لاصناعة لي ولا اعرف شيئاً سوى اللغة اللاتينية . فتبسم الرجل وقال مازحاً لا اظن استخدامك ممكناً قبل وفاة الملك الحالي لتبينك مكانهُ . فدخل كلامهُ كسهمٍ في قلبي وطأطأت رأسي وهممت بالخروج . وكان بيدهِ ظرفٌ مختوم ففضهُ وحالما القى نظرهُ عليهِ نادى بي وقال قف يافتى فوقفت فقال قد سهَّل الله لك شغلاً ان شئت ان تقوم بهِ . فلم اصدق من فرحي ولبثت واقفاً كالمبهوت . ولما قرأ الكتاب قال ان المستر بكسلي رئيس مدرسةٍ عاليةٍ خاصةٍ بهِ يطلب مني استاذاً للغة اللاتينية بمرتب عشرة جنيهات مع المسكن والطعام وان كان في صحبتهِ امرأةٌ او معينة فهو يقبلها ايضاً معهُ وتأكل على مائدتهِ بدون نقص في المرتب فهل تحب ان تلبي هذا الطلب . فأجبت بدون تردد نعم اقبل ولي شقيقة كنت حائراً اين اخلفها بعد سفري فاستصحبها معي . قال لكن لا اكتمك ايها الشاب ان الاستاذ بكسلي على ما يبلغني صعب الخلق خشن المراس فان كنت مستعداً لمداراتهِ واحتمالهِ والا فانا انصح لك ان تستعفي من خدمتهِ من الآن .

قلت سأجتهد بان اجاريهُ وعسى ان لا يصدر مني ما يغيظهُ فاني محتاج الى الخدمة وساكون لهُ اطوع من بنانهِ . قال حسنٌ فمتى تسافر . قلت اليوم اذا شئت . فكتب رسالةً ودفعها اليَّ لاقدّمها الى الاستاذ بكسلي وارسل بالبرق يعلمهُ اني قادمٌ اليهِ في الصباح التالي

فاسرعت الى البيت واعلمت شقيقتي بالامر فسرَّت وابتهجت وفي ساعةٍ من الزمن جهزنا الاثاث القليل الذي عندنا وانتظرنا ريثما حان موعد السفر فركبنا القطار وفي صباح اليوم الثاني وصلنا الى مدرسة الاستاذ بكسلي فادخلنا الخادم الى غرفة الاستقبال وبعد هنيهةٍ حضر الاستاذ فناولتهُ الرسالة وبعد ان اتم قرآءتها قال اذاً قد قبلت ان تدرّس اللاتينية عندي على هذه الشروط . قلت نعم . قال بقي لي شرطٌ آخر وهو اني احب الموادعة والسلم في هذه المدرسة ولا سيما بين الاساتذة فانا اكره المناظرة والشقاق ولذلك احب ان تكون سهل القياد لين الطبع بعيداً عن المقاومة فهل تعدني ان تكون كذلك قلت ساكون على ما تحب ان شآء الله . قال حسنٌ فادخل مع شقيقتك هذه الغرفة المعدّة لكما واستريحا من عنآء السفر

وفي المسآء تناولنا الطعام على مائدة الاستاذ وكان معهُ شابٌّ عرَّفنا بهِ واسمهُ المستر تيلر وهو استاذ الرياضيات عندهُ . وكان هذا مع صغر سنهِ كبير الجثة قوي البنية لهُ نظرٌ حادٌّ وهيئة وحشية جعلتني اكرههُ واتجنب معاشرتهُ . ولما ابتدأت بالتعليم وجدت مع مزيد جهديَ في مسالمة الجميع ان الاستاذ تيلر هو العدو الوحيد بل الآفة الكبرى لتلك المدرسة الجامعة فانهُ كان سيئ الخلق فظ الطباع خشن المعاملة لا يميل الى مؤانسة احد

بل يقضي معظم اوقاته في غرفته وعلمت بعدئذ انهُ كان كلما جاء استاذ الى المدرسة ناصبهُ تيلر العداوة وضايقهُ حتى يضطر ان يستعفي وان تلامذتهُ كانوا يهربون الواحد بعد الآخر تخلصاً من غلظتهِ وشدة عسفهِ وبالجملة فاني رأيت ان تيلر عاملٌ على خراب المدرسة . وكان الاستاذ بكسلي يرى ويسمع كل ذلك لكنهُ لم يبدِ اقل معارضة لاعمال تيلر بل كان يخضع صاغراً منقاداً مطيعاً فلم اشكَّ بعد ذلك ان بين بكسلي وتيلر سرّاً خفيّاً هو الذي يلجمهُ عن معارضتهِ والا لما تجاسر على هذه الفعال مع رئيسهِ

وكانت شقيقتي جوليا قلما تخرج من الغرفة ففي ذات يوم كانت تمشي في الحديقة فرآها تيلر فاخذهُ بها ولعٌ شديد واخذ يتقرب منها ويظهر لها المحبة والهيام . ورأت من تودده وشدّة انعطافهِ نحوها ما جعل فيها ميلاً اليهِ وازداد هذا الميل وقوي بينهما حتى تعاهدا على الاقتران . وطلبت منهُ جوليا ان يكلمني في ذلك فابى واصرَّ عليها ان لا تعلمني بشيء من امر حبهما الى ان يامرها هو فاعلمتني بذلك سرّاً وتظاهرت انا بعدم المعرفة خوفاً على مركزي

وبقينا ستة اشهر على هذه الحالة وانا لا ارى ما يسوءني سوى اعمال تيلر وسكوت بكسلي عن سيئاتهِ . وفي ذات ليلة كنت خارج المدرسة وعدت بعد نصف الليل فلما بلغت الحديقة رأيت امامي شبحاً يتسلل متستراً بالظلام فتتبعتهُ حتى بلغ غرفة تيلر فالقى حبلاً على النافذة فعلق بها ثم تسلق الجدار بمساعدة الحبل حتى بلغ النافذة ووثب الى داخل الغرفة . فاسرعت الى غرفة الرئيس بكسلي واعلمتهُ بما رأيت وقلت لهُ هل تحبّ ان استدعي الشرطة . فقطب حاجبيهِ وقال اذهب الى غرفتك ولا تتداخل فيما لا يعنيك

فقد اوصيتك سابقاً ان تقصر كل اهتمامك على امورك الخاصة ولا تلتفت الى شيءٍ من امور غيرك. فعجبت جداً من هذا الجواب وتاكدت حينئذٍ وجود السر بين هذين الرجلين الغربي الاطوار ونويت ان احتال بكل حيلة لمعرفة ما يخبآنه. غير انني رأيت في اليوم الثاني ان تيلر ينظر اليَّ بعين ملوءها غدرٌ واحتقار وفي المسآء دخلت غرفتي فرأيت على المائدة رسالةً عرفت انها من بكسلي ففتحتها فاذا بهِ يقول لي فيها « لم يعد لي من حاجةٍ اليك فاستعدَّ لمفارقة المدرسة في نهاية هذا الشهر »

ولما لم اكن متوقعاً لهذا الخطاب وقعت في حيرةٍ عظيمة ولم ادرِ ماذا اصنع وابتدأت من ذلك الحين اسعى في البحث عن شغلٍ آخر. وفي الليلة التالية عدت في منتصف الليل وانا مبلبل الافكار ولما مررت من امام غرفة الرئيس استوقفني صوت انينٍ ينبعث من الغرفة فوقفت امام الباب واصغيت فسمعت كلاماً بصوتٍ منخفض لم افهم منهُ شيئاً ثم عقبهُ صوتٌ خشن ولعنات متقطعة. فاقتربت ايضاً الى الباب ونظرت من ثقب المفتاح فاذا ببكسلي واقفٌ قرب المائدة وامامهُ تيلر والشرر يتطاير من عينيهِ وهو يقول لهُ بصوتهِ الخشن لا بد من اخذ الجميع فقد عقدت النية على السفر. فاجابهُ بكسلي بصوتٍ مرتجف ليس عندي غير ما اعطيتك فاذهب عني ولا تزد جرائمك . فاثارت هذه الكلمة غيظ تيلر فوثب كالمجنون وقبض على عنق بكسلي بكلتا يديهِ وقد عزم على قتلهِ بتةً ثم توقف وقال بل لا اقتلك الآن لانني لو فعلت لم يبقَ لي سبيل ان اهتدي الى مطلوبي فهات ما قلت لك وفز بحياتك

اما انا فاغتنمت الفرصة وذهبت فايقظت احد الخدم وامرتهُ ان ينادي الشرطة بدون ان ينتبه احد وعدت الى موقفي بجانب الباب فرأيت تيلر قابضاً على عنق بكسلي وهو يلعن ويحلف ويقول لا بدَّ لي من الحصول على الجميع • وكان بكسلي المسكين يئن ويتنحب من شدة الالم والضيق ولا تساعدهُ بنيتهُ الضعيفة على مقاومة ذلك الوحش الضاري • ولما رأيت دموع بكسلي الشيخ منحدرة على وجنتيهِ لم استطع الصبر فدفعت البـاب بقوة ودخلت قائلاً أقصر ايها الوحش واحترم هذا الرأس المشتعل شيباً • فلما رآني بكسلي تنهد فرجاً ولكنهُ اظهر الغيظ من مداخلتي اما تيلر فتركهُ وتقدم نحوي وكنت اود ان اقابلهُ في مثل تلك الحالة فهجمت عليهِ ورفعت يدي بعصاي فضربتهُ على رأسهِ ضربتين شديدتين فلم تؤثرا فيهِ بل زادتا حدتهُ واندفع عليَّ فاشتبكنا بضع دقائق غير انهُ كان اقوى مني فتملص من يدي ورأى كرسياً بجانبهِ فرفعهُ وضرب بهِ رأسي فسقطت الى الارض لا اعي شيئاً • ولما استيقظت وجدت نفسي ملقىً على سرير الاستاذ وهو بجانبي مع رئيس الشرط ينشقاني المنبهات ورأيت تيلر موثق اليدين والرجلين ملقىً على الارض والشرر يتطاير من عينيهِ • ولما اطمأن رئيس الشرط من جهتي نظر الى بكسلي وقال ما القصة وما كان الداعي لهذا الذي حدث • فتنفَّس الاستاذ الصعداء ومسح عينيهِ بمنديلهِ ثم اخذ يقص علينا حديثهُ فقال

كنت في ماضي حياتي سعيداً وغنياً جدًّا وقد وُفّقت الى التزوج ببنت احد الاعيان فعشت معها مدةً لم تطل قضيناها في نعيم ورغد عظيم • وفي السنة الثانية من زواجنا رزقني الله غلاماً ففرحت بهِ وأملت ان يكون سندًا

لي في حياتي وعكازاً لشيخوختي ولكنهُ ماجآء هذه الارض الا لشقآئي وتكدير عيشي وكانت فاتحة وجودهِ ان مرضت زوجتي على اثر ولادتهِ فلم ادع وسيلةً من وسائل الشفآء الا اتخذتها وبذلت فيها الاموال الطائلة فلم ينجع فيها علاج وفارقت هذه الدنيا تخلصاً من شرها . فاجتهدت في تربية الولد الى ان شب فرأيت فيهِ من شراسة الطباع وشرود الاهوآء ما لم استطع القرار عليهِ ولا امكنني تقويمهُ فارسلتهُ الى مدرسة الحكومة واوصيت اساتذتهُ ان يروضوا طباعهُ كما يجب غير انهُ مع كل ما كان اساتذتهُ يبذلون من الانتباه لهُ والتشديد عليهِ كان يهرب من المدرسة ويقضي ايامهُ في شوارع المدينة مع الرعاع فلم يكن يميل الا الى معاشرتهم ولا يسرّ الا بوجودهِ معهم . وفي ذات يوم اتاني طالباً ان اسمح لهُ بالاقتران بفتاةٍ احبها ووعدني انهُ بعد اقترانه يصلح سيرتهُ فحملني الامل في صدق مواعيدهِ على ان قبلت وسمحت لهُ فتزوج . وبعد اسبوع طلب من زوجتهِ مبلغاً من المال وكان مالها مودعاً في احد المصارف فلم يمكنها ان تنقدهُ ما طلب في الحال فغضب وهمّ بضربها فصاحت خائفة فزاد غيظهُ واخرج من جيبهِ غدارةً واطلق عليها النار فسقطت امام قدميهِ ميتةً . وبلغ الامر الحكومة وقتئذٍ فالقت عليهِ القبض واودعتهُ السجن الى ان يصدر عليهِ الحكم وبعد مدة حكم عليهِ القضآء بالموت . فلما بلغهُ الحكم تبسم كمن دُعي الى ليلة انس وفي نفس الليلة فرَّ هارباً وتخلص بطريقةٍ عجيبة

ومضت على ذلك ايامٌ والحكومة تبحث عنهُ فلم تقف لهُ على اثر الى ان كنت في احدى الليالي المظلمة فسمعت قرعاً عنيفاً على باب غرفتي

ولما فتحتهُ وجدت ولدي المذكور فدخل حزيناً والقى بنفسهِ على قدميَّ وطلب الصفح ووعد ان لا يعود الى ما كان عليهِ وتوسل اليَّ ان اخفيهُ عندي ولا اسلمهُ الى الشرط . ورأيتهُ جائعاً عارياً منكسراً فتحركت فيَّ العوامل الوالدية فضممتهُ الى صدري ووعدتهُ خيراً وفي الغد البستهُ ثوباً منكراً ودخل في المدرسة بصفة استاذ للرياضيات ولم يزل كذلك حتى الآن. وبحثت الشرطة عنهُ كثيراً فلم ينبئها احدٌ بخبرهِ ولم يزل امر الحكومة مشدداً بالقاء القبض عليهِ اينما وُجد وكنا نعلم ذلك من الجرائد اليومية فكنا نزيد في التحرز والانتباه ولم يكن ولدي يفارق غرفتهُ نهاراً ولا يخرج للتنزه الا تحت حجاب الليل . وبعد شهر واحد من تاريخ عودتهِ اليَّ عادت اليهِ اخلاقهُ الأُولى فعاد الى اطوارهِ السيئة وحرمني لذة الحياة كما سلب راحة الاساتذة والتلامذة . وكثيراً ما كانت تحدثني نفسي ان اسلمهُ الى الحكومة ثم يعترضني الحنو الوالدي فارجع عن عزمي واكتم مصيبتي صابراً على احرّ من الجمر آخذاً الامر بالاناة والحلم الى ان يقضي الله امراً كان مفعولاً

اما سبب حوادث هذه الليلة فقد علم ولدي ان احد الاساتذة رآهُ عائداً الى غرفتهِ بعد منتصف الليل وخشي ان يفتضح سرُّهُ بعد كتمانهِ سنتين فجاءني في اول هذا الليل يعرض عليَّ سفرهُ الى استراليا حيث لا يعلم بهِ احد فيشتغل هناك ويعيش بطمأنينة . فقبلت واعطيتهُ ما سمحت بهِ حالي من المال فأبى الا ان يأخذ كل ما عندي من النقود والاوراق وتهددني ان لم اعطهِ كل ما املك ان يقتلني لا محالة . فأخذت في ملاطفتهِ ووعدتهُ ان اعطيهُ مبلغاً آخر وانهُ متى بلغ استراليا واحتاج فانا ارسل لهُ حاجتهُ

عند اقل اشارةٍ منهُ . فأبى الا ان يسلبني كل ما في حوزتي ولما تمنعت عزم على قتلي ولقد كان فعل لولا ان كتب الله خلاصي على يد هذا الاستاذ الذي عرَّض حياتهُ للموت وارسل لهُ الله رئيس الشرط فانقذهُ . هذه قصتي وقد تلوتها عليكما فأرياني ماذا افعل

وكنت انا ورئيس الشرط نسمع الحديث بمزيد الاستغراب فرأينا ان لا نذكر شيئاً عن المستر بكسلي بل امر رئيس الشرط جماعتهُ فاخذوا تيلر الى السجن وذهبت انا في صحبتهم لارى ما يكون ولم نزل في دار الحكومة الى اواسط النهار التالي فصدر الحكم على تيلر بالاعدام العاجل . ولما عدت الى غرفتي رأت شقيقتي تغير لوني وتعبي فقلقت وسألتني عن السبب فاخبرتها بضع كلمات متقطعة وتوسدت سريري فنمت نوماً ثقيلاً

ولما افقت بعد الظهر ناديت جوليا فلم يكن من مجيب وسألت عنها فقيل لي انها خرجت بعد ان نمت فلم اشك انها ذهبت الى السجن لتودع حبيبها فتوجهت اليهِ ولما بلغتهُ رأيت العسكر يقودون تيلر الى النطع فسألت الحارس هل رأى فتاةً اتت لتزور السجن فقال نعم جآءت وخرجت بعد ربع ساعة . فقلقت افكاري جدًّا وتتبعت الموكب فرأيت ان تيلر قد تغير جسمهُ كثيراً في هذه الليلة فبعد ان كان سميناً غليظ العضلات اصبح رقيق الجسم نحيفهُ وكان على رأسهِ قناع اسود قد لفَّهُ على وجههِ بحيث لا يظهر منهُ سوى حدقتيهِ

ولما انتهوا بهِ الى الموضع المعدّ لانفاذ الحكم وقد غص المكان بجماهير الناس رفعوا ذلك القناع عن رأسهِ وللحال ارتفع الضوضآء بين الواقفين واختلطت

الاصوات من كل جانب لانهم عوض ان يروا على النطع رجلاً مجرماً رأوا فتاةً من ذوات الجمال والخفر قد انسدل شعرها على كتفها و برزت في وسط ذلك الجمهور كانها ملك هابط من السمآء . فزاحمتُ مَن حولي من الوقوف ودنوت حتى اتحقق من هي فاذا هي اختي جوليا بعينها فوقفت حائراً مبهوتاً وانا لا اجسر ان انبس بكلمةٍ ولا اظهر على نفسي ادنى تأثر مخافة الفضيحة . ورأى اهل القضآء ذلك فامروا بردّ الفتاة الى السجن ليتحققوا جلية الامر وانفضّ الجمع الواقف وكلهم في حديث ما رأوا من ذلك المشهد الغريب

اما انا فعدت الى المدرسة وساررت المستر بكسلي بما تاكدتهُ من الامر وانا على يقين من ان شقيقتي لا بد ان تنجو وهو ما علمتهُ بعد ذلك من الوقوف على اخبار الجرائد فقد ذكر فيها انهم استنطقوا الفتاة عدة مرات فلم يقفوا منها على خبر جليّ واخيراً اوقعوا عقاباً شديداً على السجّان واطلقوا سراحها . وكان في املي ان اراها بعد ذلك فانتظرت سنة كاملة ولم اقف لها على خبر الى ان اتاني منها كتابٌ من استراليا تفيدني انها تبعت تيلر واقترنت بهِ واجتهدت في اصلاح اطوارهِ وتبشرني انهُ قد اقلع عما كان فيهِ وصار رجلاً من افاضل الرجال

اما المستر بكسلي فزهد في الدنيا بعد هذه الحادثة وفوّض اليَّ رئاسة مدرستهِ فقمت بسياسة شؤونها على اتمّ ما ينبغي وقد استفدت بوجودي فيها هذه المدة خبرةً ودربةً ولم انفك عن استشارة المستر بكسلي في كل ما يعرض لي فيها من المشكلات وهي لا تزداد كل يوم الا شهرةً ونجاحاً